



جامعة تكريت
كلية التربية للبنات
قسم التاريخ

المرحلة : الثانية

المادة : تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس

عنوان المحاضرة : العلاقات بين الاندلس والامارات الاسبانية

اسم التدريسي : ا. د. وداد كردي ثلج

ايميل التدريسي : wadad.th@tu.edu.iq

العلاقات بين الأندلس والإمارات الأسبانية:

1. العلاقات الحربية:

سادت العلاقات الحربية بصورة عامة بين الأندلس والإمارات الأسبانية في الشمال. وكانت الحملات العسكرية العربية تزداد كثافة باتجاه الشمال، كلما كانت الأحوال الداخلية مستقرة، والأوضاع هادئة في الأندلس، فيتفرغ الأمراء لمكافحة الخطر الخارجي المتمثل بالإمارات الأسبانية. وكذلك الحال بالنسبة لهذه الإمارات فكانت تـشن

الهجوم على أراضي الأندلس في الفترات التي نشعر فيها بقرتها، وضعف المسلمين. من ذلك مثلاً ما حدث في عهد فرويلا الأول الذي استغل انشغال الأمير عبد الرحمن الأول بالقضاء على تمرد العلاء بن مغيث، فأغار على أراضي الدولة العربية الإسلامية، وعبر نهر دويرة، وغزا لك وشلمنقة، وشقوبية، وآبله وسمورة وغيرها. وكان لا بد لعبد الرحمن الأول أن يتخذ إجراءات كفيلة برد الخطر الأسباني، فجرد، برغم انشغاله بالفتن الداخلية، حملة تأديبية يقودها موله بدر إلى الشمال، وبشكل خاصة إلى منطقتي

ألبه والقلاع، وهي الأراضي الواقعة بين بلاد الباسك وجبال كانتبرية على ضفاف نهر مملكة جليقية. وند حقت هذه الحملة نجاحاً ملحوظاً، وأرغمت سكان الإبرة شرقي هذه المناطق على دفع الجزية للدولة العربية الإسلامية والظاهر أن حملة بدر هذه كانت ذات أثر كبير على طبيعة العلاقات التي سادت فيما بعد بين عبد الرحمن الأول وإمارة جليقية. فلقد أوقفت النشاط التوسعي لهذه الإمارة على حساب الأندلس، يضاف إلى ذلك فقد خيم السلام على المنطقة في عهد الملوك الذين عاصروا عبد الرحمن، والذين كانوا بمثابة أتباع للحكم الأموي ويدفعون الجزية إلى قرطبة. وقد بلغ نفوذ العرب حداً كبيراً في التدخل بشؤون هذه الإمارة، حتى أنهم كانوا يتدخلون في الخلافات التي كانت تنشب بين الأمراء الأسبان للوصول إلى العرش، فيساعدون الموالين منهم على التغلب على منافئهم. ويدين أحد هؤلاء الأمراء، وهو مورقاط (مورجاتو Mauregato)، للعرب بوصوله إلى الحكم. ومما يذكر أن هذا الحاكم الأخير كان من أصل عربي من جهة الأم، وقد بالغ في التقرب إلى المسلمين والتودد إليهم للأعداء، بل إن عبد الرحمن الثاني شارك بنفسه في بعض هذه الحملات، وبخاصة سنة

225هـ / 840م حيث غزا جليقية وفتح الكثير من حصونها. كما قام بنفسه أيضاً بقيادة حملة تأديبية لحاكم تطيلة، موسى بن موسى بن فرتون، الذي تحالف مع الباسك، فأخضع أتباعه في تطيلة وتقدم إلى بنبلونة عاصمة الباسك، التي التجأ إليها موسى، فأخضعها وفرض على أهلها وعلى موسى الصلح وهكذا استمرت الحملات إلى الشمال، واستمر النزاع بين القوتين المختلفتين في شبه الجزيرة، لكن الموقف الحربي تطور في أواخر عهد الإمارة الأموية، فبالإضافة إلى

استمرار الحملات، قام كل من الجانبين بإعمار وتحصين خطوط دفاعه تجاه الجانب الآخر، فبدأت إمارة جليقية بإعمار استرقة، وليون، وإماية، وبرغش، وبقية المناطق جنوباً إلى نهر دويرة. أما العرب، فحصنوا روافد نهر تاجة الشمالية، وروافد نهر الأبرة، كما بنى الأمير محمد بن عبد الرحمن مدينة مجريط (Madrid مدريد الحالية)، وطلمنكة

Talamanca، وأسكن بني تجيب مدينة قلعة أيوب وحصنها لهم، وبني لهم حصن دروكة لمواجهة الخطر الأسباني في الشمال (وأخيراً تجدر الإشارة إلى أن العلاقات الحربية في عصر الإمارة تميزت بطابع روجي خاص. فأهل الأندلس يعدون حملاتهم على الممالك الأسبانية جهاداً في سبيل الله، بينما كان أسبان الشمال يعززون من مقاومتهم للعرب بتأجيج الروح الصليبية. وكان لقبر القديس يعقوب، (سانتياجو) في مدينة شنت ياقب Compostela de Santiago تأثير كبير في إثارة الروح المعنوية عند الأسبان. ولم تكن الحملات التي يشنها هؤلاء في حقيقتها سوى حرب صليبية يقود فيها سانتياجو جحافل الأسبان ضد أعدائهم على مر القرون

2 - العلاقات الدبلوماسية والمصاهرات:

تخللت حقبة الحروب الطويلة بين الأندلس والإمارات الأسبانية في الشمال ولكن العلاقات الحربية سرعان ما عادت إلى وضعها الأول بعد وفاة مورجاتو سنة 173هـ/789م وتولي بزمود أو برمودة Vermudo الذي عزل بعد نحو سنتين، ثم حكم بدلاً منه الفونسو الثاني الذي يسميه العرب بإذفونش (175 - 227م/791 - 842م). ففي هذه الحقبة التي تولى فيها الأندلس هشام بن عبد الرحمن، وابنه الحكم، وحفيده عبد الرحمن بن الحكم، اشتدت الاشتباكات والغزوات بين الجانبين. فقد سیرت الدولة حملات في كل صيف تقريباً في عهد هشام، وحققت انتصارات كبيرة على إمارة جليقية. وكان على رأس هذه الحملات المتجهة إلى الشمال قواد معروفون ساهموا في إقامة الدولة الأموية في الأندلس، منهم أبو عثمان عبيد الله بن عثمان، ويوسف بن بخت، الذي أنزل بالملك برمودة هزيمة ساحقة، واضطره إلى الفرار بنفسه إلى معاتله بعد أن تكبد جيشه عدداً كبيراً من القتلى. ومن القادة الآخرين: عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث، الذي قاد صائفة سنة 179* - 795م حتى انتهى إلى مدينة استرقة داخل جليقية، بل إنه وصل مدينة أرفيدو، العاصمة القديمة للإمارة الأسبانية وهزم الفونسو الثاني الذي كان يقع أسيراً في يديه، لولا فراره إلى إحدى القلاع البعيدة في الشمال وما

وقد استغل الفونسو الثاني انشغال الحكم الأول ببعض الفتن الداخلية، وبخاصة تمرد ماردة، فهاجم أراضي الدولة العربية وتوغل فيها، حيث عبر نهر دويرة، وسار حتى قلمرية وأشبونة في البرتغال الحالية، وعاث في تلك المنطقة، وخرّبها. فرد الحكم بأن سار بنفسه سنة 194* - 810م وغزا بلاد الأعداء واستعاد المدن المغتصبة. ثم باشر في إرسال الحملات إلى الشمال، ومنها حملة عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث سنة 200* - 816م إلى جليقية التي أنزلت ضربة قوية بسكان المنطقة في وادي آرون Arun وفي عهد عبد الرحمن بن الحكم، الذي تميز بهدوء نسبي للأحوال الداخلية في

الأندلس، استمرت الحملات الصائفة إلى الشمال، وقلما كانت تمر سنة دون جهاد

سنوات عديدة تميزت بعقد هدنات أعطت للجانبين فرصا كثيرة للاتصال والتعرف والاقتباس. وكانت هناك اتصالات دبلوماسية بين الطرفين، وإن كانت هذه الاتصالات لا تبدو واضحة جدا في هذا العهد، لأن بعض الإمارات الإسبانية كانت ما تزال في طور النمو والتكوين. لكن العهد التالي، أي عهد الخلافة، تميز بنضج هذه العلاقات، وتبادل الوفود والسفارات بين الجانبين على نطاق واسع. ومع هذا، فهناك ما يشير إلى وجود علاقات من هذا القبيل في عهد الإمارة، وإن كانت قليلة جدا. ففي عهد عبد الرحمن الأول تم عقد أمان وسلام بين هذا العاهل الأندلسي وبين جيرانه حكام قشتالة،

وهذا هو نص كتاب الأمان: بسم الله الرحمن الرحيم، كتاب أمان الملك العظيم عبد الرحمن للبطارقة والرهبان والأعيان والنصارى والأندلسيين أهل قشتالة، ومن تبعهم من

سائر البلدان. كتاب أمان وسلام، وشهد على نفسه أن عهده لا ينسخ ما أقاموا على تادية عشرة آلاف أوقية من الذهب وعشرة آلاف رطل من الفضة، وعشرة آلاف رأس من خيار الخيل، ومثلها من البغال، مع ألف درع وألف بيضة، ومثلها من الرماح، في كل عام إلى خمس سنين، كتب بمدينة قرطبة ثلاث صفر عام اثنين وأربعين ومائة (حزيران) (759م) وفي الحقيقة لا توجد لدينا تفاصيل عن هذه المعاهدة ولا الظروف التي عقدت

فيها. ولكن يبدو من تاريخها أنها عقدت في أيام فرويلا الأول. ويرتاب بعض المؤرخين المحدثين في صحة الأرقام التي وردت فيها لضخامتها بالنسبة لموارد الإمارة

الإسبانية في ذلك الوقت المبكر. كما يشكون أيضا في الوثيقة ذاتها، وإن كان لا يوجد لديهم حجة حاسمة لترجيح إنكارها¹¹. بل على العكس، فقد كان عبد الرحمن الأول قويا في تلك الحقبة، مما جعل فرويلا الأول عاجزا عن مواجهته والتصدي له، لذلك يحتمل أنه لجأ إلى الموافقة على عقد مثل هذه المعاهدة. ولقد رأينا فيما سلف أن العلاقة بين إمارة جليقية، والدولة الأموية في عهد عبد الرحمن الأول، تميزت بالهدوء والسلام بعد حملة بدر إلى الشمال، وأن أمراء الإسبان الذين تولوا الحكم خلال الفترة

3 - العلاقات الحضارية:

لقد كان تداخل المسلمين والمسيحيين مستمرا في إسبانيا في عصر الإمارة والعصور الإسلامية الأخرى اللاحقة، سواء كان ذلك داخل الأندلس ذاتها أم في خارجها مع الإمارات الشمالية. ولم يقتصر هذا التداخل والاحتكاك على فترات السلم فقط، بل شمل فترات الحروب أيضا. فعندما يتصل شعبان أحدهما بالآخر، فإن الشعب ذا الحضارة الأرقى هو الذي يؤثر على الآخر. وهكذا كانت الحالة بالنسبة للعرب في إسبانيا، فلقد انتقلت حضارتهم إلى الإسبان في الأندلس وفي الإمارات الشمالية بطرق

شتى؛ منها الزيارات المتبادلة التي كانت تتم بين الطرفين بقصد الاطلاع أو المتاجرة، ومنها بواسطة العبيد الذين كانوا يهربون من الشمال لضمان حرياتهم، وعندما يعودون إلى بلادهم كانوا يجلبون معهم كثيرا من العادات ومظاهر الحضارة، بل إن بعضهم كان يعود وهو يحمل أسماء عربية أيضا

وكان لوقوع المناطق العربية الإسلامية بيد الإمارات الإسبانية أثر كبير في الاتصال والاحتكاك بين الطرفين. فعندما كانت تقع إحدى هذه المناطق بأيدي الأسبان لم يكن ذلك يعني توقف وجود المسلمين فيها، بل على العكس كان الكثير منهم يبقون في هذه المناطق محتفظين بعاداتهم وتقاليدهم، ويمارسون طقوسهم الدينية. ومن هؤلاء العديد

أصحاب الحرف والمثقفين، الذين لعبوا دورا هاما في نقل العلوم والفلسفة الإسلامية من

إلى الأسبان في الشمال، ومنها إلى أوروبا. وكان ملوك وأمراء هذه الإمارات الإسبانية الاقتصادية للبلاد. وهؤلاء يضطرون إلى الاحتفاظ بهؤلاء المسلمين بسبب أهميتهم المسلمون الذين استمروا في البقاء في أماكنهم بعد سيطرة الأسبان عليها عرفوا باسم المدجنين Mudejares. وكان موقفهم شبيه بموقف أهل الذمة تحت ظل الحكم العربي

الإسلامي. وكانوا، كما أسلفنا، أحرارا في اتباع عقيدتهم الإسلامية، وممارسة حرفهم وتجارتهم، وعليهم مقابل ذلك دفع ضريبة الراس أو الجزية. لقد كان وجود هؤلاء المدجنين ظاهرة تاريخية مهمة جدا في حياة إسبانيا، أدت إلى خلق بنية اقتصادية، وحضارة مادية وعلمية مشتركة بين المسيحيين والمسلمين، بلغت أوجها في العهود التي

أعقبت عهد الإمارة، وبشكل خاص في القرنين الثالث عشر والرابع عشر للميلاد / السابع والثامن للهجرة. ومن الجدير بالذكر أن المستعربين، وهم نصارى الأسبان، الذين شجعوا هذا الاتجاه مورجاتو المتوفى سنة 173هـ / 789م الذي استقل في جليقية، وبالغ

في التودد إلى المسلمين، وشجع بحماس زواج الفتيات المسيحيات من المسلمين. وكان هذا الحاكم، نفسه ابنا لألفونسو الأول من أم عربية، ولكن دعوته لم تلاي النجاح المطلوب بسبب بعض النصارى المتعصبين ورجال الدين له وقد قامت علاقات مصاهرة قوية بين بعض الأسر المتنفة في منطقة الثغر الأعلى، مثل بني قسي المولدين، وبين حكام نافار في الشمال). ويبدو أن مثل هذه الأسر المولدة قد أرادت تقوية نفوذها بالزواج، هذا فضلا عن عامل الجوار والقرب الذي يربط بين الطرفين. وكانت علاقات المصاهرة هذه من القرابة بحيث كان بنو قسي يقفون أحيانا

مع اصهارهم النافاريين بوجه حكومة قرطبة، أو الحكام الأسبان الآخرين أمث ومن المصاهرات الطريفة التي حدثت في هذا العهد، زواج الأمير عبد الله بن محمد من إحدى الأميرات النافاريات، رمي رنقة Iniga ابنة فرتون بن غرسية Fortun Garces المعروف بالأنقر، الذي أسره الأمير محمد بن عبد الرحمن، وسجنه في قرطبة

لمدة عشرين سنة وكانت ونقة هذه قد تزوجت قبل ذلك من أمير نافاري، هو ازنار بن شانجة Sanchcz nar.A7، وأنجبت منه ابنة، هي طوطة Toda، التي ستصبح ملكة نافار، وتعاصر عبد الرحمن الثالث، وتقد عليه في سفارة سنة 347م/958م ساعية

إلى عقد معاهدة سلم وصداقة مع قرطبة. اما ثمرة زواج الأميرة ونقه الثاني من الأمير عبد الله، فكانت ابنا، وهو الأمير محمد والد عبد الرحمن الثالث وبذلك تكون الملكة طوطة عمه الخليفة عبد الرحمن الناصر، لأنها أخت محمد، والد الناصر، من وتدل هذه المصاهرة على مدى العلاقات المتشابكة التي قامت بين سكان أمه ونقه الأندلس وجيرانهم الاسبان في الشمال، مما كان له أثر بارز في احتكاك الشعبين واختلاطهم، وانتقال مظاهر الحضارة فيما بينهم. الباقية من حكمه، تميزوا بسياساتهم التقريبية والموالية لحكومة قرطبة. ولا توجد علاقات ودية ذات أهمية في عهد بقية الأمراء الأمويين، باستثناء عبد الرحمن الثاني أو الأوسط، الذي وصلت الدولة العربية في الأندلس في عهده إلى مكانة سامية، وأصبحت مركزا للنشاط الدبلوماسي والسفارات في المغرب الإسلامي. وقد وصلت هذه العلاقات الدبلوماسية أوجها مع الامبراطورية البيزنطية أما بالنسبة للعلاقات مع الاسبان، فلم تكن بتلك القوة، وكانت بعض معاهدات الصلح تفرض بعد الانتصارات التي يحققها أهل الأندلس على جليقية وبقية المناطق الأخرى، من ذلك مثلا الصلح الذي فرضه عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث على الجلالقة، بعد أن غزاهم سنة

208م/823م بغزوته المعروفة بغزاة ألبة والقلاع والتي كانت ردا على هجومهم على مدينة سالم في الثغر الأعلى. وكان من بنود هذا الصلح اطلاق سراح جميع الأسرى من الأندلس، ودفع جزية كبيرة، وتسليم بعض زعماء المنطقة إلى الدولة ليكونوا رهائن، ضمانا لعدم اعتدائهم في المستقبل". وقد حدثت بعض الاتفاقات بين إمارة نافار وعبد الرحمن الأوسط. وكانت هذه الإمارة قد بدأت بالتححرر من سيطرة الافرنج، وتدخلهم في

شؤونها، مما جعلها تتوجه إلى الأندلس لطلب العون والاسناد. ولهذا السبب فقد جاءت سفارة نافارية إلى بلاط عبد الرحمن الأوسط في قرطبة، وعقدت معاهدة بين الطرفين،

تعهدت الدولة بموجبها بحماية نافار من أي اعتداء خارجي، مقابل مساعدة النافاريين لأهل

الأندلس فيما إذا أرادوا عبور جبال ألبرت إلى فرنسا!"". ولكن لم تكن هذه المعاهدات تحترم كثيرا من قبل أمراء الاسبان، بل كانت تنقض في معظم الأحيان، خاصة إذا ما شعروا بقوتهم وضعف الدولة العربية الإسلامية في الأندلس.

وبالنسبة للمصاهرات بين العرب في الأندلس والمسيحيين، فقد كانت شائعة سواء في داخل الأندلس ذاتها أم مع الإمارات الاسبانية في الشمال. وكان الحكام يشجعون هذه المصاهرات، بل إن بعضهم قد تزوج من نساء إسبانيات، مثل عبد العزيز بن موسى

ابن نصير الذي تزوج من ارملة لذريق اخر ملوك القوط ومن حكام المسيحيين الذين التنظيم المدني أو العسكري لدى إسبانيا في العصور الوسطى أو في العصر الحديث.

يضاف إلى ذلك مصطلحات أخرى تشمل أسماء الأمكنة والأنهار والظواهر الجغرافية، وطرق وأساليب الري، وأسماء الفاكهة والأزهار والألوان والملابس و". وتعد هذه الاستعارات اللغوية أفضل من جميع الوثائق التاريخية لأنها تبرز الإشعاع الحضاري الحقيقي الذي سلطته الأندلس على إسبانيا المسيحية. وهي أكثر من جميع الأدلة إفصاحا

على سيادة العرب الثقافية، سيادة لا جدال فيها عمت شمال شبه الجزيرة الايبيرية ولم يقتصر أثر العرب الحضاري على الإمارات الاسبانية في الشمال على النواحي بل شمل مجالات أخرى، منها الفنون، وخاصة فن العمارة الثقافية واللغوية حسب، والبناء الذي نقله المدجنون، وظهر في إسبانيا منذ بداية القرن التاسع الميلادي / الثالث الهجري، وظل فيها بصورة نهائية تقريبا. ويتميز هذا الفن، وبشكل خاص في الكنائس، بوجود القباب التي ترتفع فوق أقواس على شكل حدوة حصان. ومن جملة الأبنية الأخرى غير الدينية التي تأثرت بالفن العربي، الجسور والأقنية المائية المعلقة، ونواير المياه وغيرها. كذلك يظهر تأثير المسلمين على إسبانيا في تطور الفنون الأخرى

الصغرى، مثل صناعة العاج، والمصنوعات الذهبية والزجاجية والخزفية والتطريز. ظلت هذه الصناعات مستمرة في المدن التي استعادها الاسبان وإلى وقت لاحق بعد عصر الإمارة، بل حتى خروج العرب من الأندلس. وذلك لأن إشعاع الحضارة الأندلسية الذي بلغ أقصى اندفاعه في القرن العاشر الميلادي / الرابع الهجري، لم يتلاشى

بل امتد حتى سقوط الأندلس شاملا جميع أجزاء شبه الجزيرة. ولم يقف ملوك وأمراء الاسبان ضد هذا التيار، بل شجعوه، وتبنوا هم أنفسهم شتى المبتكرات المستقاة من مظاهر الحضارة العربية الإسلامية المجاورة. وإن قيام بعض ملوك الاسبان في وقت لاحق بضرب عملاتهم وهي تتضمن وجهين، عربيا وقشتاليا، وارتدائهم الملابس على الطريقة الإسلامية، ليدل على مدى العمق الذي تغلغت فيه الحضارة العربية الإسلامية في نفوس الاسبان وعلى أعلى المستويات عاشوا مع العرب في الأندلس، ساهموا أيضا في نقل الحضارة العربية الإسلامية إلى إسبانيا النصرانية، لأن هؤلاء

المستعربين بحكم معرفتهم للغتين العربية والاسبانية القديمة كانوا ينتقلون بحرية من أراضي الأندلس إلى الإمارات الاسبانية. وهكذا انتقلت العلوم والفلسفة وكثير من مظاهر الحياة العامة الإسلامية إلى الشمال. وبالإضافة إلى انتقال هذه التأثيرات، فقد انتقلت أيضا كثير من التنظيمات القانونية والحربية من الأندلس إلى الإمارات الاسبانية وهذا يوضح لماذا اضطر الاسبان إلى الإبقاء على التنظيمات القائمة في المناطق المسكونة بالمسلمين والتي أعادوا السيطرة

عليها. بينما وضعوا أنظمة أخرى لتنظيم الحياة لرعاياهم في هذه المناطق ومن التأثيرات الأخرى التي تبودلت بين الطرفين، التأثيرات اللغوية، فلقد كانت المصطلحات العربية شائعة في كل من ليون وقشتالة ونافار، وبقية المناطق الأخرى في الشمال. كما دخل في اللغة الرومانسية Romance، وهي اللغة الاسبانية القديمة الناتجة

من اللهجة اللاتينية - الايبيرية، التي كانت في طور التكوين في ذلك الوقت، الكثير من الكلمات والمصطلحات العربية. وكان هناك الكثير من العرب الذي يفهمون هذه اللغة ويتكلمون بها، وبشكل خاص في مناطق الثغور والحدود. وتوجد في مصادرنا العربية إشارات واضحة تدل على أن الأمراء والقضاة وكبار القوم والشعراء كانوا يتكلمون هذه اللغة الاسبانية القديمة أو الرومانسية إلى جانب اللغة العربية، وذلك على كل مستويات المجتمع وحتى في قصور الأمراء الأندلسيين. وفي الوقت نفسه كان هناك العديد من الاسبان الذين لهم إلمام ومعرفة باللغة العربية.

ويبدو الأثر العميق الذي مارسته الثقافة العربية الأندلسية على السكان الاسبان في كل شبه الجزيرة الأيبيرية من ملاحظة الاستعارات اللغوية التي أخذتها اللغة الاسبانية من

اللغة العربية. فلقد وجدت اللغة الاسبانية نفسها، كما يقول المستشرق الفرنسي ليفي

بروفنسال، مضطرة طيلة مرحلة نموها، وحتى القرن الحادي عشر الميلادي (السابع الهجري)، على الأقل، أن تأخذ من العربية كل ما ينقصها حتى ذلك الوقت للتعبير عن المفاهيم الجديدة وبخاصة في مضمار المؤسسات والحياة الخاصة». وهناك أمثلة لا حصر لها تشمل مئات عديدة من الكلمات والمفردات ذات الأصل العربي في مجالها